

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد:

فإنَّ التَّعَوُّذَاتِ النَّبَوِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ مَوْضُوعٌ جَلِيلٌ، أَرَدْتُ أَنْ أَتَنَاوَلَهُ بِالشرحِ وَالتَّفْصِيلِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ - بِحَقٍّ - غَابَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مَعَ أَنَّهُمْ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ!

وَالْعَجِيبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ حِينَمَا يَكُونُ فِي حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى شَيْءٍ مَا؛ فَإِنَّهُ يَحْرَصُ عَلَى تَحْقِيقِهِ وَالحَصُولِ عَلَيْهِ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ فِي حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى هَذَا الشَّيْءِ ثُمَّ يَزْهَدُ فِيهِ أَوْ يَنْسَاهُ؛ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ الْعَاجِبُ.

فَمَنْ مِنَّا لَا يَطْلُبُ الْحِمَايَةَ - الظَّاهِرَةَ وَالبَاطِنَةَ - لِنَفْسِهِ، أَوْ لِأَهْلِهِ، أَوْ لَوْلَدِهِ؟

وَمَنْ مِنَّا لَا يَرِيدُ أَنْ يُؤَمِّنَ مُسْتَقْبَلَهُ، أَوْ مُسْتَقْبَلَ أَوْلَادِهِ، أَوْ مُسْتَقْبَلَ زَوْجَتِهِ؟

وَمَنْ مِنَّا لَمْ يَمُرَّ بِضَائِقَةٍ، أَوْ تَنْزِلٍ بِهِ مُصِيبَةٌ؟ مَنْ مِنَّا لَمْ يُعَانِ مِنَ الْغِنَى أَوْ الْفَقْرِ؟

وَمَنْ مِنَّا لَا يَعَانِي مِنَ الصَّحَّةِ أَوْ الْمَرَضِ؟

وَمَنْ مِنَّا لَا يَعَانِي مِنَ الشَّبَابِ أَوِ الْكَهُولَةِ أَوِ الشَّيْخُوخَةِ؟

وَمَنْ مِنَّا لَا يَعَانِي فِي دَاخِلَةِ نَفْسِهِ، أَوْ فِي قَلْبِهِ، أَوْ فِي سَمْعِهِ، أَوْ فِي بَصَرِهِ، فِي فَرْجِهِ؟

وَمَنْ مِنَّا لَا يَعَانِي عَلَى مَسْتَوَى الْفَرْدِ أَوْ الْأُسْرَةِ أَوْ الْجَمَاعَةِ، فِي السَّفَرِ أَوْ الْحَضَرِ، فِي السَّرَاءِ أَوْ الضَّرَاءِ، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ تَمْرَبُنَا جَمِيعًا ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٥]، يُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَرْفَعُ وَيَخْفِضُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ.

فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا تَصُبُّ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَعِيشَ هَانِتًا، مُطْمَئِنِّ الْقَلْبِ، مَرْتَاحِ الضَّمِيرِ، هَادِي الْبَالِ، صَالِحِ الْحَالِ، وَالتَّعَوُّذَاتِ النَّبَوِيَّةِ - بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى - تَكْفِيكَ ذَلِكَ كُلَّهُ.

إِنْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَرَحْمَتِهِ بِنَا أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ بَابٍ خَيْرٍ إِلَّا وَدَلَّنَا عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ بَابٍ شَرٍّ إِلَّا وَحَذَّرَنَا مِنْهُ، وَاسْتَمَعَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى - وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُورُ التَّعَوُّذَاتِ النَّبَوِيَّةِ فِي فَلَكِهَا -: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمِنْ حِرْصِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَيْنَا أَنْ عَلَّمَنَا تَعَوُّذَاتٍ نَتَعَوَّذُ بِهَا؛ وَتَعَوُّذَاتِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَانٌ

ووقاية، وتحصين وكفاية من الشهوات المحرّمة، ومن الشبهات المضلّة، ومن الفتن التي تُزيغ القلوب، ومن الإغراءات، ومن الإغواءات، ومن الوسوس والمصائب والبلايا، ومن كل شيء يضل الإنسان.

وقد قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الحديث كما في «صحيح مسلم»: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ....» (١).

إنَّ التعوذات النبوية بمثابة التحذير؛ لأنَّ الدُّعاء يشتمل على أمرين: طَلَبُ نفع، أو دَفْعُ ضَرٍّ.

فحينما تقول: اللهم اغفر لي، اللهم اقضِ ديني، اللهم وسّع رزقي، اللهم بارك لي في مالي وزوجي وولدي، فهذا طلب نفع.

وأما حينما تقول: اللهم إني أعوذُ بك من فتنة المال، ومن فتنة الغنى، ومن فتنة الفقر، اللهم إني أعوذُ بك من كل فتنة مضلّة، اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ سَمْعِي، ومن شرِّ بَصَرِي... إلى آخر ما ستتعرف عليه، فهذا دفعُ ضَرٍّ.

(١) (صحيح)، أخرجه مسلم برقم [١٨٤٤] واللفظ له، والنسائي برقم [٤١٩١]، وابن ماجه برقم [٣٩٥٦]، وأحمد برقم [٦٥٠٣].

وسنعيش مع هذا الجانب - دَفَعَ الضَّرَّ -؛ لأن في زماننا فتناً كثيرة، كما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (١).

فالتعوذات النبوية حُصُوننا، ولا ينبغي أن نَغْفُل عنها.

ВВОІЩІН ГНІОУЩІН РИЇГ ІДІГ

التَّعَوُّذُ وَالتَّعْوِيذُ وَالْمَعَاذَةُ كُلُّهَا بِمَعْنَى، وَنَسَبْتُهَا إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لأنه هو الذي عَلَّمَنَا إياها، فهي منسوبة إليه: «التعوذات النبوية».

ومعنى التعوذ: الحماية، والاعتصام، والاستجارة، وطلب التحصين، والاحتماء.

فحينما تقول: أعوذ بالله من كذا، فالمعنى: أَلْتَجَى، وأعتصم، وأحتمي، وأستجير، وأتحصن به من كذا وكذا.

وقد كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - معصوماً من هذه الفتن؛ فتنة القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، وفتنة الفقر ... إلى آخر ما سنذكره، وإنما تَعَوَّذَ بهذه التعوذات تعليماً لنا،

(١) (صحيح)، أخرجه مسلم [١١٨]، والترمذي [٢١٩٥]، وسيأتي تخريجه مفصلاً ص (١٧٥)، هامش (١).

فكأنه يقول: إذا كنتُ معصوماً وأطلب من الله أن يَحْمِيَنِي، فكيف بكم وأنتم عُرْضَةٌ للفتن التي تَصْرِفُكُمْ وَتُصَدِّكُمْ عن الطريق المستقيم؟! فالفتون «يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» مقابل جنيهين، أو امرأة جميلة.

ونحن في زماننا هذا مطالبون أشدَّ المطالبة بالاستعاذة؛ لأن الفتن دخلت البيوت، وبجهاز التَّحْكُمِ يمكن أن يرى الواحدُ قناةً فيها امرأةٌ عاهرة؛ تخطف بصره فيضل ويزل!!

والله نسمع العجب من جرَّاء هذه القنوات الفاجرة، فقد اشتكت امرأة في الستين من عمرها زوجها في السبعين من عمره، تقول: إن زوجها ابن السبعين يتبع البنات من خلال التليفونات بالليل والنهار، ويريد من امرأته ذات الستين أن تجلس معه لتتابع قنوات «الزنا كليب»، و«الفسوق كليب»، و«الفجور كليب»، وهي تنام مبكراً لتستيقظ لصلاة الفجر. وهو يقول: أنا رجل ولي عليها حقوق، واعذرنى فإن الشهوة تجري في دمي!!

وهذا الرجل قد قارب على النهاية، فقد قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السَّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ»^(١)،

(١) (حسن) أخرجه الترمذي برقم [٣٥٥٠]، وابن ماجه برقم [٤٢٣٦] .

وهذا الرجل قد فُتِنَ وهو في السبعين من عمره، فما بالك بالشاب في العشرين أو الثلاثين؟!

فنحتاج إلى من يحمينا، ولا حامٍ لنا إلا الله عزَّ وجلَّ، وهذا هو دور التعوذات النبوية.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أنه ليس كُلُّ مَنْ كَتَبَ (شيكًا) يُصرف له من (البنك)، بل لا بد أن يكون له رصيد، وإذا لم يكن له رصيد فإنه يقع في ورطة كبيرة، فحينما نقول: إنك ستأخذ بطاقة فيها دعاء معين هدية من النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلا بد أن يكون لديك رصيد ليأتي الدعاء بنتيجته؛ لأن بعض الناس يقول: قد قلتُ الدعاء الذي نصحتني به، وقد أَخْبَرْتَنِي أن مَنْ قال هذا الدعاء أذهب الله عنه الهم، وما زال الهمُّ كما هو!! فنقول لهذا القائل: إن دعاءك لم يأت بنتيجة؛ لأن عندك خللاً.

الطبيب مثلاً حينما يريد إجراء عملية جراحية؛ فإنه يكشف على المريض أولاً، ثم يأمره أن ينتظر حتى تنضبط نسبة السكر والضغط، وقد يأمره بإجراء تحاليل أو أشعة، وربما استغرق ذلك شهراً أو شهرين، وبعد إجراء الفحوص والتحاليل النهائية يقول لك: الآن نستطيع إجراء العملية.

إِذَا مَطْلُوبٌ مِنْكَ أَنْ تُصْلِحَ نَفْسَكَ حَتَّى تَنْتَفِعَ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ، إِذْ
إِنَّمَا لَيْسَتْ كَلَامًا مَجْرَدًا يُكْتَفَى فِيهِ بِتَرْيِيدِ اللِّسَانِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا هِيَ عَقِيدَةٌ.

وَحِينَهَا تَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ» فَإِنْ مَعْنَاهَا: اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَوِيُّ وَأَنَا
الضَّعِيفُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَادِرُ وَأَنَا الْعَاجِزُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْكَبِيرُ وَأَنَا
الصَّغِيرُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَأَنَا الْفَقِيرُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْعَزِيزُ وَأَنَا الَّذِي
يُغْلَبُ فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا ...

إِنَّكَ تَوْحَّدَ اللَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا، وَتَعْتَرِفُ بِعِزِّكَ وَضَعْفِكَ
أَمَامَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ لِيَحْمِكَ.

وَلَكِنِّي تَنْتَفِعُ بِتَعَوُّذٍ مِنَ التَّعَوُّذَاتِ لَا بَدَّ مِنْ تَحْقِيقِ شُرُوطِ
الدُّعَاءِ الْمَعْرُوفَةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فَمَنْ اسْتَجَابَ لِلَّهِ؛ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ، وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَوَفَى
بِعَهْدِهِ أَعَاذَهُ وَحَمَاهُ، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وَرَبُّنَا
يَكْفِي عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: «مَنْ
عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»^(١)، فَاللَّهُ يَدَافِعُ عَنْ أَوْلِيَائِهِ،

(١) (صحيح) أخرجه البخاري برقم [٦٥٠٢].

وَيَحَارِبُ مَنْ يَحَارِبُهُمْ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فَطَرِيقُ
الْوَلَايَةِ وَاضِحٌ أَمَامَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا إِبْرَاهِيمَ أَوْلِيَائِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[الزمر: ٣٦].

والقاعدة أن: كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ فَهُوَ لِلَّهِ وَلِيٌّ.

أما كيف يكون الإنسان تقيًّا ليصل إلى الولاية؟ فقد بيَّنه
هذا الحديث القدسي: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ
مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ
حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ
الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،
وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» (١)، فمن استعاذ
بالله عَزَّجَلَّ مِنْ شَرِّ شَيْءٍ حَمَاهُ مِنْهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
[الحج: ٣٨].

وَإِذَا أَقَمْتَ الفرائضَ، ووَاضَبْتَ عَلَى النوافِلِ، واجْتَنَبْتَ
الكبائرَ، وَلَمْ تُصِرَّ عَلَى الصغائرِ دَخَلْتَ فِي حِمَايَةِ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠].

إننا في حاجة مُلِحَّةٍ إلى تلك التعوذات النبوية المباركة، فقد كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعَلِّمُ أصحابه بعض صيغ التعوذات، كما يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» (١).

بل إن طائوس بن كيسان - عالم أهل اليمن، وتلميذ عبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال لابنه: «أَدْعَوْتَ بِهَا فِي صَلَاتِكَ؟» فقال: «لَا»، قال: «أَعِدْ صَلَاتَكَ» (٢).

وقد وفقني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَتَسْجِيلِ بِرَنَامَجِ عَنْ «التَّعَوُّذَاتِ النَّبَوِيَّةِ» لقناة «الرَّحْمَةُ» الفضائية في شهر رمضان سنة ١٤٣٠ هـ، وقد لقي هذا البرنامج قبولا طيبا، وصادف انتشارا واسعا لدى مشاهدي القناة، وعبر المُشْبَاكُ «الإنترنت»؛ بحمد الله - تعالى - .

(١) (صحيح) أخرجه مسلم برقم [٥٩٠]، والنسائي برقم [٢٠٦٣] .

(٢) أورد هذا الأثر مسلم عقب الحديث السابق، وقال: بلغني أن طائوسا قال لابنه، وذكره. انظر «صحيح مسلم» (٢٦٦/١) ح [٥٩٠] .

وقد رغب كثير من إخواننا في إخراج البرنامج في كتاب مقروء، تسهل مراجعته، وليكون في متناول الأيدي، يلجأون إليه كلما نزل بهم شيء من الأمور المقلقة، أو المخاطر المخوفة.

فقمنا بفضل الله - تعالى - بإعداد هذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ الكريم.

وقد قام تلميذنا الحبيب؛ أبو البراء أحمد بن عبد الرحمن سكر، بتخريج أحاديثه تخريجاً إجمالياً موجزاً تعقّبه في بعض مواضعه، فجزاه الله خيراً.

وختاماً أقول: ما كان من تمام فمن الله الكريم المنان، وما كان من نقص أو خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

وكتبه

أبو محمد الأزهرى

دكتور

سهاب الدين محمد الوزهرى

ثغر الإسكندرية

غرة ربيع الأول ١٤٣٣ هـ

obeikandi.com

مَهَيِّدٌ

AĪTÜZβYH PΨ BNISΨH

المستعاذ به ^(١) هو الله وحده، رب الفلق، ورب الناس، ملك الناس، إله الناس، الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به، ولا يستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي يعيد المستعيزين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره.

وحاجة العبد إلى الاستعاذة أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس؛ وذلك لعظيم منفعتها، وشدة الحاجة بل الضرورة إليها، وأنه لا يستغني عنها أحد قط، وأن لها تأثيرا خاصا في دفع السحر والعين وسائر الشرور.

وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ التَّعَوُّذَاتُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ الاسْتِعَاذَةَ مِنَ الشَّرِّ وَأَسْبَابِهِ وَغَايَتِهِ:

فَإِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ إِمَّا أَنْ يَصْدُرَ مِنَ النَّفْسِ، أَوْ مِنَ الشَّيْطَانِ.
وَوَغَايَتُهُ: إِمَّا أَنْ تَعُودَ عَلَى الْعَامِلِ، أَوْ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/٤٢٩)، و«زاد المعاد» (٤/١٥٤)،
(٤/١٦٥)، و«مدارج السالكين» (١/٤٠١)، و«إغاثة اللهفان» (١/٩١).

فَتَضَمَّنَتْ التَّعَوُّذَاتُ النَّبَوِيَّةُ مَصْدَرِي الشَّرِّ اللَّذِينَ يَصْدُرُ عَنْهُمَا، وَغَايَتِيهِ اللَّتَيْنِ يَصِلُ إِلَيْهِمَا.

وَمَنْ جَرَّبَ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ وَالْعَوُذَ عَرَفَ مِقْدَارَ مَنْفَعَتِهَا وَشِدَّةَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَهِيَ تَمْنَعُ وَصُولَ أَثَرِ الْعَائِنِ وَالْحَاسِدِ وَكُلِّ ذِي شَرٍّ أَوْ ضَرٍّ أَوْ نَفْسٍ خَبِيثَةٍ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ، وَتَدْفَعُهُ بَعْدَ وَصُولِهِ بِحَسَبِ قُوَّةِ إِيْمَانِ قَائِلِهَا وَقُوَّةِ نَفْسِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ وَقُوَّةِ تَوَكُّلِهِ وَثَبَاتِ قَلْبِهِ فَإِنَّهَا سِلَاحٌ وَالسَّلَاحُ بِضَارِبِهِ.

فَحَقُّ عَلَى مَنْ أَرَادَ حِفْظَ نَفْسِهِ وَحِمَايَتَهَا أَنْ لَا يَزَالَ مُتَدَرِّعًا مُتَحَصِّنًا لِأَيِّسَاءِ أَدَاةِ الْحَرْبِ، مُوَظِّبًا عَلَى أَوْرَادِ التَّعَوُّذَاتِ وَالتَّحْصِينَاتِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتِّي فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَشْرِفَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَدْوِيَةَ الطَّبِيعِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ تَنْفَعُ مِنَ الدَّاءِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَتَمْنَعُ مِنْ وَقُوعِهِ، وَإِنْ وَقَعَ لَمْ يَقَعْ وَقُوعًا مُضِرًّا وَإِنْ كَانَ مُؤْذِيًّا.

وَالْأَدْوِيَةُ الطَّبِيعِيَّةُ إِنَّمَا تَنْفَعُ بَعْدَ حُصُولِ الدَّاءِ.

فَالْتَّعَوُّذَاتُ وَالْأَذْكَارُ إِنَّمَا أَنْ تَمْنَعُ وَقُوعَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، وَإِمَّا أَنْ تُحَوِّلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ كَمَالِ تَأْثِيرِهَا، بِحَسَبِ كَمَالِ التَّعَوُّذِ وَقُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ.

فَالرَّقَى وَالْعَوُذُ تُسْتَعْمَلُ لِحِفْظِ الصَّحَّةِ، وَإِزَالَةِ الْمَرَضِ:

أما الأول - وهو حفظ الصحة - : فكما في «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذَا أَوَى إِلَى فَرَّاشِهِ نَفَثَ فِي كَفِّهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدُهُ مِنْ جَسَدِهِ.

وَكَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ».

وَكَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

وأما الثاني - وهو إزالة المرض - : فكما ورد في الرِّقِيَّةِ بِالْفَاتِحَةِ، أَخْرَجَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سَفَرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَصَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمْ، فَلَدَغَ سَيْدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُمْ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَاتَّوَهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ! إِنَّ سَيِّدَنَا لَدَغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

نَعَمْ وَاللَّهِ! إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا. فَصَاحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَاَنْطَلَقَ يَتَفَلُّ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فَكَانَ مَا أَنْشَطَ مِنْ عِقَالٍ، فَاَنْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلْبَةٌ. قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَاحُوهُمْ عَلَيْهِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْتَسِمُوا. فَقَالَ الَّذِي رَقِيَ: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَظَرُ مَا يَأْمُرُنَا. فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ؟!»، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا».

وَكَمَا فِي الرُّقِيَةِ بَعِيرِ الْفَاتِحَةِ بِمَا يَأْتِي بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

:^(١) ΤΙΜΗΓ' Ἰῆζυδιππ' ἀνέηππ' ψηοζ'.

الشر الذي يصيب العبد لا يخلو من قسمين:

- ١ - إما ذنوب وقعت منه، يعاقب عليها؛ فيكون وقوع ذلك بفعله وقصده وسعيه، ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها، وهو أعظم الشرين وأدومهما وأشدّهما اتصالا بصاحبه.
- ٢ - وإما شر واقع به من غيره، وذلك الغير: إما مكلف، أو غير مكلف.

(١) «بدائع الفوائد» (٢ / ٤٣١).

والمكلف: إما نظيره - وهو الإنسان -، أو ليس نظيره - وهو الجنِّي -.

وغير المكلف: مثل الهوام وذوات الحُمَى وغيرها.

فتضمنت هذه التعويضات الاستعانة من هذه الشرور كلها، بأوجز لفظ وأجمعه وأدله على المراد، وأَعَمَّهُ استعانة، بحيث لم يبق شر من الشرور إلا دخل تحت الشر المستعاذ منه فيها.

ΒΚΖΙΦΙΡ ΠΗ ΟΛ Π ΕΗΨ ΕΤΦΩ

الشر يُطْلَقُ على شيئين:

١- على الألم.

٢- وعلى ما يفضي إليه.

وليس له مسمى سوى ذلك.

فالشرور هي الآلام وأسبابها، فالمعاصي والكفر والشرك وأنواع الظلم هي شرور، وإن كان لصاحبها فيها نوع غرض ولذة، لكنها شرور؛ لأنها أسباب الآلام، ومفضية إليها، كإفضاء سائر الأسباب إلى مسبباتها، فَتَرْتَّبُ الألم عليها كَتَرْتَّبِ الموت على تناول السموم القاتلة، وعلى الذبح، والإحراق بالنار، والخنق بالحبل، وغير ذلك

من الأسباب التي تصيبه مفضية إلى مسيبتها ولا بد، ما لم يمنع السببية مانعاً، أو يعارض السبب ما هو أقوى منه وأشد اقتضاء لضده، كما يعارض سبب المعاصي قوة الإيمان، وعظمة الحسنات الماحية وكثرتها؛ فيزيد في كميتها وكيفيتها على أسباب العذاب؛ فيدفع الأقوى للأضعف.

وهذا شأن جميع الأسباب المتضادة، كأسباب الصحة والمرض، وأسباب الضعف والقوة.

والمقصود: أن هذه الأسباب التي فيها لذة مآ، هي شرٌّ وإن نالت بها النفس مسرةً عاجلة، وهي بمنزلة طعام لذيذ شهوي لكنه مسموم، إذا تناوله الآكل لذَّ لآكله وطاب له مساعه، وبعد قليل يفعل به ما يفعل، فهكذا المعاصي والذنوب ولا بد، حتى لو لم يُخبر الشارع بذلك لكان الواقع والتجربة الخاصة والعامة من أكبر شهوده.

وهل زالت عن أحد قط نعمةٌ إلا بشؤم معصيته، فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حَفِظَهَا عليه ولا يغيرها عنه، حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه، ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَزَالَ نِعْمَهُ عَنْهُمْ، وَجَدَ سَبَبَ ذَلِكَ جَمِيعَهُ: إِنَّهَا هُوَ مُخَالَفَةُ أَمْرِهِ، وَعَصْيَانُ رُسُلِهِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ نَظَرَ فِي أَحْوَالِ أَهْلِ عَصْرِهِ، وَمَا أَزَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ نِعَمِهِ؛ وَجَدَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِ الذُّنُوبِ كَمَا قِيلَ:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تَزِيلُ النِّعَمَ

فَمَا حَفِظْتَ نِعْمَةَ اللَّهِ بِشَيْءٍ قَطُّ مِثْلَ طَاعَتِهِ، وَلَا حَصَلَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ بِمِثْلِ شُكْرِهِ، وَلَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ لِرَبِّهِ، فَإِنَّهَا نَارُ النِّعَمِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيهَا كَمَا تَعْمَلُ النَّارُ فِي الْحَطَبِ الْيَابِسِ، وَمَنْ سَافَرَ بِفِكْرِهِ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ اسْتَغْنَى عَنْ تَعْرِيفِ غَيْرِهِ لَهُ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ شُرُورٌ وَلَا بَدَ.

وَأَمَّا كَوْنُ مَسَبِّاتِهَا شُرُورًا: فَلِأَنَّهَا آلَامُ نَفْسِيَّةٍ، وَبَدَنِيَّةٍ، فَيَجْتَمِعُ عَلَى صَاحِبِهَا مَعَ شِدَّةِ الْأَلَمِ الْحَسِيِّ أَلَمُ الرُّوحِ بِالْهَمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ وَالْحَسَرَاتِ.

وَلَوْ تَفَقَّنَ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ لِهَذَا حَقَّ التَّفَقُّنِ: لِأَعْطَاهُ حَقَّهُ مِنَ الْحَذَرِ وَالْجَدِّ فِي الْهَرَبِ، وَلَكِنْ قَدْ ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ حِجَابُ الْغَفْلَةِ، لَيَقْضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.

فلو تَيَقَّظَ حق التيقُّظ: لتقطعت نفسه في الدنيا حسرات على ما فاتته من حظه العاجل والآجل من الله، وإنما يظهر له هذا حقيقة الظهور عند مفارقة هذا العالم، والإشراف والاطلاع على عالم البقاء، فحينئذ يقول: ﴿يَلَيْتَنِی قَدَمْتُ لِحَیَاتِی﴾ [الفجر: ٢٤]، و﴿بَحَسْرَتِی عَلَی مَا فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

:IMΩIῖβ`H БЫXH PA ῖ ΓHĪTüZγДДH ᾱHΩΓ

ولما كان الشر هو الآلام وأسبابها؛ كانت استعازات النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جميعها مدارها على هذين الأصلين، فكل ما استعاذ منه، أو أمر بالاستعاذة منه، فهو إما مؤلم، وإما سبب يفضي إليه.

فكان يتعوذ في آخر الصلاة من أربع، وأمر بالاستعاذة منهن، وهي: عذاب القبر، وعذاب النار، - فهذان أعظم المؤلمات -، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، - وهذان سبب العذاب المؤلم -، فالفتنة سبب العذاب، وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ خُصُوصًا وَعَمُومًا.

وذكر نوعي الفتنة، لأنها: إما في الحياة، وإما بعد الموت.

ففتنة الحياة: قد يتراخى عنها العذاب مدة.

وأما فتنة الموت: فيتصل بها العذاب من غير تراخ، فعادت الاستعادة إلى الألم والعذاب وأسبابهما.

:ϥΦζ' ΒφЗІДІ ЖГ - Вѣрѡуѳсѧ ѿ Р҃и κ̅- Тїцн Аїтүзβн

استعاذ من ثمانية أشياء، كل اثنين منها قرينان:

والفرق بينهما: أن الهم تَوَقُّعُ الشر في المستقبل، والحزن: التألم على حصول المكروه في الماضي، أو فوات المحبوب، وكلاهما تَأَلُّمٌ وعذابٌ يَرِدُ على الروح، فَإِنْ تَعَلَّقَ بالماضي سمي حزنًا، وَإِنْ تَعَلَّقَ بالمستقبل سمي همًا.

والعجز والكسل: قرينان، وهما من أسباب الألم؛ لأنها يستلزمان فوات المحبوب.

فالعجز: يستلزم عدم القدرة، والكسل: يستلزم عدم إرادته؛
فتألم الروح لفواته -أي المحبوب- بحسب تعلقها به والتذاذها
بإدراكه لو حصل.

والجبن والبخل: قرينان؛ لأنهما عَدَمُ النفع بالمال والبدن، وهما من أسباب الألم؛ لأن الجبان تفوته محبوباتٌ ومفرحاتٌ وملذواتٌ عظيمة لا تنال إلا بالبذل والشجاعة، والبخل يحول بينه دونها أيضًا، فهذان الخلقان من أعظم أسباب الآلام.

وَضَلَعُ الدِّينِ وَقَهْرُ الرِّجَالِ: قرينان، وهما مؤلمان للنفس معذبان لها.

أحدهما: قَهْرٌ بحق، وهو ضلع الدين.

والثاني: قَهْرٌ بباطل، وهو غلبة الرجال.

وأيضًا: فضلع الدين قَهْرٌ بسبب من العبد في الغالب، وغلبة الرجال قَهْرٌ بغير اختياره.

ومن ذلك: تعوده من المأثم والمغرم؛ فإنهما يسببان الألم العاجل.

ومن ذلك: قوله «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ»، فالسخط: سبب الألم، والعقوبة: هي الألم، فاستعاذ من أعظم الآلام وأقوى أسبابها.

:ΚΙΓ ἸῦΖΥΔΗ ἐηϞ

والشر المستعاذ منه نوعان:

أحدهما: موجود، يُطْلَبُ رفعه.

والثاني: معدوم، يُطْلَبُ بقاؤه على العدم وأن لا يوجد.

كما أن الخير المطلق نوعان:

أحدهما: موجود، فيُطْلَبُ دوامه وثباته وأن لا يُسْلَبَ.

والثاني: معدوم، فيُطْلَبُ وجوده وحصوله.

:BüāΨtūϞ ΥΠΙσΓ

فهذه أربعة هي أمهات مطالب السائلين من رب العالمين،
وعليها مدار طلباتهم، وقد جاءت هذه المطالب الأربعة في قوله
تعالى حكاية عن دعاء عباده في آخر آل عمران في قولهم: ﴿رَبَّنَا
إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فهذا الطلب لدفع
الشر الموجود، فإن الذنوب والسيئات شر كما تقدم بيانه.

ثم قال: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فهذا طلب

لدوام الخير الموجود وهو الإيمان حتى يتوفاهم عليه.

فهذان قسمان.

ثم قال ربنا: ﴿رَبَّنَا وَءَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]،
فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم إياه.

ثم قال: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، فهذا طلب
أن لا يوقع بهم الشر المعدوم، وهو خزي يوم القيامة.

فانتظمت الآيتان للمطالب الأربعة أحسن انتظام، مُرتَّبة
أحسن ترتيب، قُدِّم فيها النوعان اللذان في الدنيا - وهما المغفرة،
ودوام الإسلام إلى الموت -، ثم أُتبعًا بالنوعين اللذين في الآخرة
- وهما أن يُعْطُوا ما وُعدُّوه على أَلْسِنَةِ رسله، وأن لا يخزيهم يوم
القيامة -.

فإذا عُرِفَ هذا: فقوله في تشهد الخطبة: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»، يتناول الاستعاذة من شر النفس الذي هو
معدوم لكنه فيها بالقوة، فيسأل دَفْعَهُ وأن لا يوجد.

وأما قوله: «وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»، ففيه قولان:

أحدهما: أنه استعاذة من الأعمال السيئة التي قد وُجِدَتْ.

فيكون الحديث قد تناول نوعي الاستعاذة من الشر المعدوم
الذي لم يوجد، ومن الشر الموجود؛ فطلب دفع الأول، ورفع الثاني.

والقول الثاني: أن سيئات الأعمال هي عقوباتها وموجباتها السيئة التي تسوء صاحبها.

وعلى هذا: يكون من استعادة الدفع أيضاً دفعُ المسبب، والأول دفعُ السبب فيكون قد استعاذ من حصول الألم وأسبابه.

وعلى الأول: يكون إضافة السيئات إلى الأعمال من باب إضافة النوع إلى جنسه، فإن الأعمال جنس، وسيئاتها نوع منها.

وعلى الثاني: يكون من باب إضافة المسبب إلى سببه، والمعلول إلى علته، كأنه قال: مِنْ عَقُوبَةِ عَمَلِي.

والقولان محتملان، فتأمل أيهما أليق بالحديث وأولى به؛ فإن مع كل واحد منهما نوعاً من الترجيح:

فيترجح الأول: بأن منشأ الأعمال السيئة من شر النفس، فشر النفس يُؤلِّد الأعمال السيئة؛ فاستعاذ من صفة النفس، ومن الأعمال التي تَحْدُثُ عن تلك الصفة، وهذان جُمَاعُ الشر، وأسباب كلِّ ألم، فمتى عوفي منها عوفي من الشر بحذافيره.

ويترجح الثاني: بأن سيئات الأعمال هي العقوبات التي تسوء العامل، وأسبابها شر النفس؛ فاستعاذ من العقوبات والآلام وأسبابها.

والقولان في الحقيقة متلازمان، والاستعاذة من أحدهما تستلزم الاستعاذة من الآخر.

ولما كان الشر له سبب هو مَصْدَرُهُ، وله مَوْرِدٌ ومنتهى، وكان السبب إما من ذات العبد، وإما من خارجه، ومورده ومنتهاه إما نفسه، وإما غيره؛ كان هنا أربعة أمور:

شر مصدره من نفسه: ويعود على نفسه تارة، وعلى غيره أخرى.
وشر مصدره من غيره، وهو السبب فيه: ويعود على نفسه تارة، وعلى غيره أخرى.

جمع النبي هذه المقامات الأربعة في الدعاء الذي عَلَّمَهُ الصديق أن يقوله إذا أصبح، وإذا أمسى، وإذا أخذ مضجعه: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجْرُهُ إِلَى مُسْلِمٍ».

فذكرَ مصدرِي الشر، وهما: النفس، والشيطان، وذكرَ مورده ونهايته، وهما: عَوْدُهُ على النفس، أو على أخيه المسلم.

فَجَمَعَ الحديثُ مصادر الشر وموارده في أوجز لفظه وأخصره وأجمعه وأبينه.